بردية أوكسيرينخوس رقم ٢٤٣٥

ولقاء بين الإمبراطور أغسطس والاسكندريين

وترحيب الاسكندرية بمقدم جرمانيكوس

للدكتور مصطفى كمال عبد العليم
كلية الآداب — جامعة عين شمس

ضم المجلد الخامس والعشرون من مجموعة بردى أوكسيرينخوس Oxyrhnchos (البهنسا) البردية رقم ٢٤٣٥ (١) . وقد قام على نشرها الأستاذ تيرنر E.G.Turner . ولهذه البردية أهمية خاصة ، إذ أنها تكشف عن العلاقة بين مواطنى الاسكندرية والامبراطور أغسطس فى عام ١٣م (٢) من ناحية ؛ وتضيف تفاصيل جديدة لزيارة جرمانيكوس Germanicus للاسكندرية على عهد عمه الامبراطور تيبريوس فى عام ١٩م(٣) .

وقد سجل كاتب البردية على وجهها الأول (recto) تسجيلا لحوار دار بين مدير بلدية الإسكندرية exgetês وبين إمبراطور (autocrator) رجح الناشر أنه جرمانيكوس .

وسجل الكاتب على الوجه الثانى للبردية (verso) محضر جلسة شهدها الإمبراطور أغسطس مع مجلسه الخاص Consilium principis وسفراء مدينة الإسكندرية .

ولما كان النص المثبت على الوجه الثانى يتعلق بأحداث سبقت تلك التى يتضمنها النص المكتوب على الوجه الأول ، فإننا نرى أن نبدأ بالحديث عنه أولا .

سفارة الاسكندرية والامبراطور أغسطس :

يبدأ النص بذكر الملف وذكر العمود رقم ٨٠ وهذا يعنى أن الكاتب نقل محضر جلسة من ملف معين . وفيما يلى ترجمة النص :

« العام ٤٢ من حكم قيصر الشهر الرابع ، الساعة التاسعة . أخذ أغسطس مجلسه فى معبد أبوللون فى مكتبة روما واستمع لسفراء الاسكندرية . وكان يجلس معه تيبريوس قيصر ودروسوس Drusus ابن قيصر وفالبريوس ميسالينوس كورفينوس Valerius Messalinus Coruinus .

(وخمسة أشخاص كتب اسم أحدهم كاملا وهو ماركوس أفيديوس أورجلانيوس Marcus Auidius Orgolanius (٤) .

وقد سلم اسكندر قرارات (المدينة) psephismata ، وقال :

« . . . إن مدينتى قد بعثت بى فى مهمة . . . لأقدم لك . . . ولأسلم لك هذه القرارات . . . . الثناء على ليفيا و . . . تيبريوس قيصر . . . السفراء . . . النصر » .

ورد أغسطس : « لقد رأيته » .

وتعالت صيحات : « بالحظ الحسن ، بالحظ الحسن » .

وعندئذ تحدث الخطيب تيموكسينوس Timoxenus : مثل هذه . . .

. . . التى منحتها ، يا مولانا أغسطس إلى . . . الذين . . . . ، مثل هذه المنحة نضرع إليكم أن تضفوها على رعاياكم . . . نحن نبدو هنا فى مظهر المتوسلين إليكم ، ولكن فى الحقيقة . إن مدينتنا بكل حرارة وصدق تتضرع proskynesasan من أجل ملاككم الحارس tyché العظيم فى قداسته ...».

ويرى الناشر أن العام الثانى والأربعين من حكم الإمبراطور أغسطس ، وهو تاريخ الجلسة يقابل عام ١٢/١٣ م ، وأن تاريخ الجلسة ، على التحديد ، ينحصر بين أول يناير و ٢٩ أغسطس عام ١٣ م . ويبنى افتراضه على أساس أن اسم جرمانيكوس لم يرد بين أسماء أفراد الأسرة الإمبراطورية الثلاث الذين ضمهم مجلس Consilinm qrinciqis عند إعادة تشكيله عام ١٢م أو ١٣م (٥) . وهم تيبريوس قيصر بن ليفيا زوجة أغسطس وابنه بالتبنى وولى عهده ، ودروسوس بن تيبريوس ، فضلا عن جرمانيكوس بن دروسوس شقيق تيبريوس الذى لم يذكر اسمه . وفى رأى الناشر ، وهو رأى صائب ، أن تاريخ الجلسة لا يمكن أن يكون عام ١٢ م لأن جرمانيكوس كان فى روما فى خريف عام ١٢ م فى حين أنه كان متغيبا فى بلاد الغال فى عام ١٣ م . وهذا يتفق مع عدم ذكر اسمه بين أعضاء المجلس . وقد ضم المجلس أيضا بعض القناصل وبعض أعضاء الشيوخ . وكان لقرارات المجلس بتشكيله هذا نفس قوة قرارات مجلس الشيوخ Sunatus consult .

والمفهوم من التفاصيل القليلة الواردة فى هذا النص الذى يعتوره النقص أنه كان

برأس سفراء الاسكندرية شخص يدعى اسكندر سلم أغسطس قرارات المدينة psephismata وقال أن مدينتى (أى الاسكندرية) قد أرسلتنى على رأس سفارة لتسليم هذه القرارات . ولا ينبغى أن يفهم من ذلك أن تلك القرارات قد صدرت عن مجلس دستورى من تلك المجالس التى ألفتها المدن الإغريقية ، بل أن المرجح قياساً على ما ورد فى بردية أخرى من مجموعة بردى أوكسيرينخوس أيضاً (٦) ، وما ورد فى بردية أخرى (٧) ، أن يكون مجلس شيوخ المدنية (gerousia) وهو الذى تولى إصدارها . ولم يكن المجلس مجلسا دستوريا بالمعنى المفهوم وإنما كان مجلسا يضم كبار شخصيات المدنية تغلب عليه الصفة الاجتماعية ومتصل فى الغالب بمعهد الجومنازيوم ، وكان بمثابة حلقة الاتصال أو أداة التفاهم بين روما وجالية المواطنين الإغريق . ولعل هذا المجلس كان يقوم باختيار السفراء المبعوثين من قبل المدنية إلى الأباطرة لعرض شكاوى المواطنين أو الدفاع عن قضاياهم فى بعض الأحيان . وكان يصدر أيضا القرارات psephismata الخاصة بتكريم الأباطرة (٨) .

وحقيقة أن البردية ناقصة إلا أنه يمكن أن نفهم ، بمقارنتها ببردية لندن رقم ١٩١٢ ، أن الوفد الاسكندرى أراد أن يعرب للامبراطور عن توقير مدينتهم لشخصه ورغبتها فى إحاطته بمظاهر التكريم والتبجيل . وكان سفراء الاسكندرية على قدر من اللباقة بحيث أجزلوا الثناء لعدد من أفراد الأسرة الامبراطورية ظهر بين أسمائهم فى البردية اسم ليفيا زوجة الامبراطور وإبنها تيبريوس . وفى رأى الأستاذ تيرنر ناشر البردية أن الوفد أراد أن يرفع تهنئته لهما لتبنى أغسطس لتيبريوس (٩) . والمعروف أن أغسطس تبنى تيبريوس فى عام ٤ م مع تقليده

سلطة التريبونية trbunicia potestas لمدة عشر سنوات ثم جددت له تلك السلطة في عام ١٣ م . وهو تاريخ النص الذي نناقشه (١٠) .

ووردت كلمة النصر على لسان رئيس الوفد الاسكندرى . . وقول أغسطس « لقد رأيته » أو « لقد رأيتها » . وقد يكون المقصود أن أغسطس رأى تمثال النصر الأغسطى Victoria Augusta ، كما يقترح موميليانو A.Momigliano أو أن يكون الذى رآه الامبراطور ، فى رأى الناشر ، هو مدينة الاسكندرية (١١) .

وجاء فى حديث تيموكسينوس Timoxenus الخطيب الاسكندرى رجاءه أن يستجيب الامبراطور لتضرع السكندريين أن يمنحهم ما منحه لغيرهم » . والذى كان السكندريون يلحون فى طلبه ، ولم ينالوا ، طوال العصر الرومانى إنما هو مجلس الشورى ، والمقابلة هنا بين ما أقره الامبراطور لليهود بأن يكون لهم مجلس شيوخ وبين حرمان السكندريين من حق إعادة تشكيل مجلس الشورى الذى كان لمدينتهم فى العصر البطلمى ثم أقدم أحد الملوك البطالمة على إلغائه ، لعله الملك بطلميوس يوارجيتيس الثانى (١٢) .

وأرى أن الأستاذ تيرنر ناشر البردية على حق فى مقابلته بين هـذا النص وبين نص بردية P.S.I. 1160 المعروفة باسم بردية مجلس الشـورى « Boulê-papyrus » (١٣) . ذلك لأن البردية الأخيرة تتضمن حوارا بين وفد من مواطنى الاسكندرية ، وامبراطور ذكر أنه « قيصر » . وموضوع الحوار محاولة من الوفد الاسكندرى اقناع الامبراطور بالموافقة على السماح لهم بتشكيل مجلس شورى boulê ، يستطيع أن يضمن « عدم انتقاص الدخل بمنع الذين يتعينه

إدراجهم فى سجل الخاضعين لضريبة الرأس laographia من إدراج أسمائهم سنويا فى القائمة الرسمية بجانب الشبان epheboi « ويستطيع أن يحول دون قوم يفتقرون إلى التربية والتعليم أن يلوثوا جالية المواطنين الاسكندريين » .

والواضح أن المقصود بهذا التجريح هم اليهود الذين إذا نجحوا فى إدراج أسمائهم فى سجل الشبان ، باعتبار أن هذه هو خطوة أساسية للحصول على مواطنة الإسكندرية، فإنهم من ناحية أخرى يستطيعون الدخول إلى الجومنازيوم . وإذا تخرجوا منه فإنهم ينضمون إلى جماعة خريجى الجومنازيوم المعروفة باسم Hoi apo tou gymnasiou مما يعفيهم من دفع جانب من ضريبة الرأس .

ومن هنا كان التسلل إلى منظمات الإسكندرية الدستورية طريقا سهلا للتحلل من دفع ضريبة الرأس أو جانب منها على الأقل . وهذا يفسر محاولة إغراء وفد الإسكندرية للامبراطور ليسمح لمواطنيها بتشكيل مجلس الشورى .

وعندما نشرت بردية البولى للمرة الأولى فى عام ١٩٣٠ ، ساد بين كثير من المؤرخين أن اللقاء تم بين أوكتافيانوس (فيما بعد أغسطس) فور استيلائه على الإسكندرية فى عام ٣٠ ق . م . ولكن ضريبة الرأس laoyraphia فرضت لأول مرة في عام ٢٤/٢٣ ق . م . وهذا يبعد البردية عن عام ٣٠ ق . م . وساد بين نفر من المؤرخين أن قيصر المذكور قد يكون أغسطس أو أحد خلفائه ، الأباطرة الثلاث تيبريوس أو جايوس أو كاوديوس . وكان من رأى الأستاذ بل H.I.Bell أن الخط الذى كتبت به السطور الثلاث الأخيرة فى البردية إنما من نفس الخط الذى كان عليه الخط الذى كتبت به برديات الفترة المتأخرة من عصر الامبراطور أغسطس أو السنوات الأولى من حكم خلفه الأمبراطور تيبريوس (١٤) .

وقد يدعم رأى بل أن ناشرى مجموعة البرى اليهودى .

(CpJud. = Corpus Papyrorum Judaicarum)

أن أغسطس الذى أشير إليه فى البردية على أنه قيصر إنما هو بالفعل الامبراطور أغسطس ، ذلك لأن أغسطس وحده هو الذى يقال له فى نصوص البردى فى مصر الرومانية «قيصر» مجرداً من أى إضافات أخرى مثل الآله theos أوالامبراطور autokrator ، وأن اللقاء تم فى مكان ما بين أغسطس وبين الوفد الاسكندرى فى عام ٢٠ أو ١٩ ق . م . عندما كان الامبراطور يقوم بزيارة بعض ولايات الشرق كان من بينها سوريا ، وأنه كان فى نيته زيارة مصر ولكن لأمر ما لم تتم هذه الزيارة . وقد أملى عليهم هذا التصور قبول ترجمة السطور الثلاثة الأخيرة فى البردية على النحو التالى :

« قال قيصر : سوف أبت فى هذه المسائل (بمدقيامى بزيارة ؟) الإسكندرية وذلك بدلا من عبارة ؟ قال قيصر : « سوف أبت فى هذه المسائل . . . (بعد عودتكم ؟) إلى الإسكندرية » .

وبذلك يتفق ناشرا البردى اليهودى مع الأستاذ بل فى التسليم بأن قيصر هو أغسطس ولكنهما يقدمان تاريخ اللقاء إلى عام ٢٠ أو ١٩ ق . م . فى حين أن بل يؤخره إلى الأعوام الأخيرة من حكم أغسطس .

وقبل أن نرجح أحد التاريخين أود أن أشير إلى بعض أوجه الشبه القائمة بين نص بردية الشورى (البولى) ونص بردية أوكسيرينخوس ٢٤٣٥ .

من أهم أوجه الشبه أن كلا منهما يبدأ بذكر رقم الملف أو الدوسيه ، (وقد ذكر فى برديه البولى الملف رقم ٤٠ ، فى حين سقط من البردية الثانية رقم الملف) ورقم العمود ، وأن أسم قيصر ذكر مجردا فى كليهما ، وأنه فى كلا النصين تحدث

خطيب نيابة عن الوفدالاسكندرى ، وأن كلامن الخطيبين أبرزتلهف الآسكندريين أن يكون لمدينتهم مجلس شورى وإن كان خطيب بردية البولى ألح فى إثبات أن تشكيل مجلس الشورى سيكون من مصلحة الحكم الرومانى نفسه ، بينما حرص خطيب بردية أوكسيرينخوس فى التضرع للامبراطور أن يمنح للاسكندريين مجلسا على نحو ما فعل مع اليهود ، وأن كلا النصين يتضمن الإشارة إلى اليهود ، وإن كانت نغمة التعريض بهم قد غلبت على بردية البولى .

ولذلك فإنى أرى أن هناك صلة وثيقة بين البرديتين ذلك أنهما يتضمنان الحديث فى نفس الموضوع . وليس من الصعب القول بأنهما نسختان نقلتا من السجلات الرسمية الخاصة بالإسكندرية :

ذلك بدليل ابتداء كل منها بذكر رقم الملف ورقم العمود . ولذلك فلا أستبعد أن يعود تاريخهما إلى وقت واحد أو وقت متقارب . وإذا كنا قد عرفنا أن تاريخ بردية أوكسيرينخوس هو عام ١٣ م ، فإن ذلك يجعلنا نقبل تاريخ الأستاذ بل لبردية البولى بأنها تعود إلى أواخر عهد الامبراطور أغسطس وليس عام ٢٠ أو ١٩ ق . م . الذى رجحه ناشرا مجموعة البردى اليهودى ؛ وبالتالى أن ذلك يجعلنا نرجح أن يكون اللقاء بين أغسطس والوفد الاسكندرى قد تم فى روما بالذات . وقد يدعم هذا الرأى أخذنا بترجمة السطور الثلاثة الأخيرة من بردية البولى بأن الامبراطور رد على مطالب أعضاء الوفد الاسكندرى بأنه سيبت فيها بعد عودتهم إلى الاسكندرية . وهذا هو التفسير المعقول لهذه العبارة التى تردد بعض المؤرخين فى قبول ترجمتها على هذا النحو .

وبذلك تكون بردية أوكسيرينخوس قد ساعدت على توضيح بعض ما غمض

من بردية البولى فهى تسجيل للقاء حدث فى روما بين الامبراطور أغسطس ووفد من الاسكندرية وفى السنوات الأخيرة من عصر هذا الامبراطور .

وقد كان الرأى السائد بين كثير من المؤرخين أن بردية مجلس البولى تنتمى إلى تلك المجموعة من البرديات التى اصطلح إلى تسميتها بأعمال شهداء الاسكندرية Acta Alexandrinorum لأنها تشتمل على عبارات التعريض باليهود . ولكن الأسلوب الأدبى المميز لأعمال شهداء الاسكندرية يختلف عن أسلوب نص بردية البولى . ثم أن هذا النص لايسجل حوارا بالمعنى المفهوم بل هو التماس تقدم به خطيب الوفد الاسكندرى وكانت إجابة الامبراطور أنه سيبت فى هذا الالتماس أوهذا الطلب. فضلا عن أن تاريخها يعود إلى الفترة الباكرة من الحكم الرومانى فى حين أن تاريخ وثائق أعمال شهداء الاسكندرية تتأخر كثيرا عن هذه الفترة . وإذا كانت البردية قد تضمنت تعريضا باليهود فإن اسم اليهود لم يذكر صراحة وإنما الذى قاله وفد الاسكندرية أن مجلس البولى فى حالة تكوينه فإنه سيحول دون انضمام من لايستحق قانونا حقوق مواطنة الاسكندرية أن ينضم إلى هيئة مواطنى المدينة . وزاد الوفد الاسكندرى قوله أن المجلس سينهض بواجباته الأخرى . وحتى إذا سلمنا أن الوفد الاسكندرى قدعرض باليهود فماذا نسمى ماأقدم عليه الامبراطور أغسطس من إخضاع يهود مصر جميعا لضريبة الرأس مثل المصريين سواء بسواء ؟ ولذلك فإننى أوافق ناشرى مجموعة البردى اليهودى على أنه من الأفضل استبعاد بردية مجلس البولى من مجموعة أعمال شهداء الاسكندرية .

وبالنسبة لبردية أوكسيرينخوس فإن ناشرها الأستاذ تيرنر يتساءل عن إمكان إلحاقها بمجموعة أعمال شهداء الاسكندرية . وأوافقه على أن النغمة التى تسود هذه البردية تختلف عن النغمة السائدة فى أعمال شهداء الاسكندرية فهى تسجل تفاصيل

لقاء تم بين الامبراطور أغسطس ووفد سكندرى أبدى أعضاؤه مجاملة واضحة للامبراطور وأسرته وتضرعوا إليه أن يقبل التماسهم بتشكيل مجلس شورى مثلما سمح لليهود بالإبقاء لهم على مجلس الشيوخ الخاص بجاليتهم . فليس فى نص البردية اذن تعريض باليهود أو التعريض بالامبراطور ، وهاتان هما النغمتان اللتان تغلبان على أعمال شهداء الاسكندرية . ويضيف الأستاذ تيرز أنه بالاضافة إلى ذلك فإن العلاقات كانت لاتزال طيبة بين الرومان والاسكندرية . ويتحفظ الأستاذ تيرز فى قوله بأنه إذا كانت هذه البردية تنتمى إلى أعمال شهداء الاسكندرية فانها تعتبر ، بلاشك ، نموذجا لهـذا النوع من المحاضر التى رجح الأستاذ موزيريللو Musurillo أن تـكون قد كتبت فى نفس الوقت الذى وقعت فيـه الأحداث المثبتة ثم حفظت فى ملف وأتيح للـكاتب الذى كتب بردية أوكسيرينخوس أن يطلع عليه وأن ينقل منه إلى تلك البردية والتى ذهب بها إلى أوكسيرينخوس(١٦) .

فبردية أوكسيرينخوس إذن أقرب إلى الوثائق التاريخية الصحيحة ذلك أنها تورد أسمـــاء بعض أعضاء مجلس الامبراطور بتشكيله الجديد وخاصة وأنه ضم الشخصيات البارزة فى البيت الامبراطورى . ولعل سفراء الاسكندرية تخيروا هذا الوقت بالذات لأن المجلس أصبح بحـكم هذا التشكيل قادرا على إصدار قرارات فعالة ، كما أسلفنا ، وتـكون لصالح الاسكندرية .

وبذلك يـكون من الأنسب أن نستبعد هذا النص ، كما فضلنا استبعاد بردية مجلس البولى من مجموعة أعمال شهداء الاسكندرية .

وإذا سلمنا بالصفة التاريخية للنصين ، فإنه ليس من المستبعد أن الملف الخاص بالمقابلات التى تمت بين أغسطس وبين مواطنى الاسكندرية كان محفوظا فى الإمبراطور

كلوديوس (٤١ — ٥٤ م) وهو يبحث فى الرد على طلب الوفد الاسكندرى الذى مثل فى حضرته فى روما بخصوص المطالبة بمجلس الشورى . وإذا كان الامبراطورقد ذكر فى رسالته المشهورة إلىالاسكندريين(بردية لندن رقم١٩١٢): « وأما عن مجلس الشورى ، فليس فى وسعى أن أقول ما هى السنة التى درجتم عليها فى عهد الملوك القدماء . ولكنكم تعلمون جيدا أنه لم يكن لديكم مجلس فى عهد من سبقونى من الأباطرة ، وحيث أن هذا مقترح جديد يثار الآن للمرة الأولى ولا يتضح إذا ما كان سيعود بالفائدة على المدنية وحكومتى ،فقد كتبت إلى أيميليوس ركتوس (الوالى) ليبحث الموضوع ويخبرنى عما إذا كان من الضرورى إنشاؤه أصلا ، وكيف ستكون طريقة إنشائه إذا تبين أنه ضرورى»(٧١) أحد أمرين أما أن الامبراطور ، لم يلتزم الدقة وهو يقول إن هذا الطلب يثار للمرة الأولى،وأما أنه كان يريد التخلص من الموقف واكتساب الوقت بإحالة الطلب على حاكم مصر الرومانى ، وإلا لما ذكر فى إجابته أن دراسة الوالى بخصوص المجلس ستتركز على مدى ضرورته للمدينة وللحكم الرومانى نفسه ، ولتبين مصلحة روما فى إنشائه . رأينا فى بردية مجلس البولى أن الاسكندريين ذكروا للامبراطور أغسطس أن فى إنشاء المجلس مصلحة الحكم الرومانى وبالذات مصلحة الخزانة الإمبراطورية . فهل نستبعد أن يكون الوفد الاسكندرى قد أثار أمام الامبراطور كلوديوس مسألة تطابق مصلحة روما مع مصلحة الاسكندريين فى إقامة المجلس أو أنهم أشاروا إلى طلبهم الذى تقدموا به إلى أغسطس وتضمنه نص بردية مجلس البولى أو أنهم قدموا له نسخة من هذا النص . وإذا سلمنا بإمكان حدوث ذلك ، فإننا نستطيع أن نفسر إشارة الإمبراطور إلى ضرورة تشكيل المجلس وإلى مصلحة روما فى وجوده .

فى ضوء الاعتبارات السابقة ، يكون إسباغ القيمة التاريخية على بردية مجلس الشورى وبردية أوكسيرينخوس مما يساعد على الربط بينها وبين بردية لندن ١٩١٢ على أساس أن الموضوع المشترك بين البرديات الثلاثة هو المطالبة بمجلس الشورى .

بقى أن نتعرف على بعض شخصيات الوفد الاسكندرى الذين وردت أسماؤهم فى بردية أوكسيرينخوس وهما اسكندر الذى سلم الامبراطور قرارات المدينة بتكريمة وتيمونيكس Timonex الذى ألقى بخطبة الوفد الإسكندرى بين يدى أغسطس .

يقترح الأستاذ تيرز ناشر البردية أن يكون اسكندر هو اليهودى اسكندر الذى كان من أكبر أثرياء يهود الاسكندرية ، وهو شقيق فيلون Philo الفيلسوف اليهودى الاسكندرى ووالد ماركوس رجل الأعمال اليهودى وتيبريوس يوليوس اسكندر اليهودى الصابىء والذى قلده الامبراطور نيرون فى عام ٦٦ م. منصب والى الاسكندرية ومصر praefectus Alexandraea et Aeggpti . وهو من أرقى المناصب التى يطمح فى الوصول إليها رومانى ينتمى إلى طبقة الفرسان والمعروف أن اسكندر كان يشغل منصب مدير الضرائب الجمركية arabarchês المختص بالإشراف على تحصيل المكوس الجمركية على السلع الشرقية فى الطرق المؤدية من وادى النيل إلى موانى البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية (١٨) . وفى الوقت نفسه كان اسكندر هذا يشغل منصب رئيس الجالية اليهودية فى الاسكندريه ethranchês(١٩) . وكان الاثنارخيس على حد قول استرابون ، يحكم الشعب اليهودى ethnos ويباشر اختصاصات قضائية واسعة كما لو كان « أرخونا فى مدينة حرة »(٢٠) . فإذا كان اسكندر المذكور فى البردية هو اسكندر لوسياخوس ، فإنه ، فى رأى تيرز يمكن تخيل أن يهود الاسكندرية

وإغريقها كانوا على وفاق على عهد الامبراطور أغسطس . وهذا أمر يصعب التسليم به لأن تيرنر نفسه عاد فاستدرك قائلا أنه لا يمكن توقع أن يجد يهوديا عضوا فى سفارة يتحدث أعضاؤها عن عبادة الامبراطور والصلاة من أجله . وفى الواقع أننا لا نكاد نصدق أن يكون إغريق الاسكندرية قد عدموا رجالا أكفاء لتمثيلهم فعمدوا إلى يهودى ، حتى ولو كان اسكندر ، ليحمل قرارتهم إلى الإمبراطور فى روما .

أما عن تيمونكس الخطيب السكندرى فإن تيرنر لم يوفق إلى التعرف عليه(٢١) .

زيارة جرمانيكوس للاسكندرية :

على الوجه الأول rrecto للبردية حوار داربين مدير بلدية الاسكندرية exgetês وبين امبراطور autokrator فى حضرة جماهير الاسكندرية. ونص الحوار كما يلى :

مدير البلدية exgetês : لقد سلمت الإمبراطور نفسه كلا القرارين « ta Psephismta » .

الإمبراطور : أنا الذى أرسلنى أبى ، ياأهل الإسكندرية . . .

وهلل الجمهور وصاحوا : بالحظ الحسن ، يامولانا ، سوف ، تحظى بالبركات . .

الإمبراطور : ياأهل الإسكندرية الذين أعليتم قدرى بحديثى إليكم . انتظروا ولا تصفقوا حتى أنتهى من الإجابة على كل سؤال من أسئلتكم ، أنا الذى أرسلنى أبى ، كما سبق أن ذكرت ، لتنظيم الولايات eparchiai فيما وراء البحار . وهو عمل صعب ؛ أولا بسبب السفر فى البحر ، وأيضا لأنه أبعدنى عن أحضان

أبي وجدتي وأمي ، وإخوتي ، وأخـــواتي وأبنائي وأصدقائي المقربين. هذا العمل الذي أشرت إليه . . . (ربما كانت الجملة الناقصة هنا حماني إلى عبور بحر جديد).. بحرا جديدا حتى أستطيع أن أرى مدينتـكم في المقام الأول .

وصاح الجمهور . . . بالحظ الحسن .

الامبراطور : وحتى قبل الآن ، كنت أعتقد أن سيكون منظرا يخلب الألباب . وهذا يعود أولا إلى البطل الذي أنشأ مدينتـكم والذي يدين له جميع أولئك الذين يتملـكهم نفس الطموح وثانيا بسبب الخدمات الجليلة التي قدمت لجدي أغسطس ، ولأبي ، وكما هو الحال بالنسبة لي ، وأنني لا أتحدث ، . . .

وهلل الجمهور : ليطول عمرك وليمد في حياتك .

الامبراطور : (أنني لا أتحدث) عمـا يعرفه كل شخص ، ولـكنني لن أنسى كيف وجدت هتافاتـكم التي ترحب بي وهي تتضاعف متصاعدة في صدوركم لأن القرارات psephismata الخاصـة بتـكريمي يمـكن أن تصدر عن إجتماعات تضم قلة من الرجال ، ولـكن . . . »

ويتساءل الأستاذ تيرنر ، ناشر البردية ، عن الشخص الذي وصف في البردية بأن امبراطور Atoukrarfor ويحصره بين قيصر بن أجريبا ، وحفيد أغسطس وابنه بالتبني ، وبين جرمانيكوس قيصر بن نيرون دروسوس وابن شقيق الامبراطور تيبريوس والذي تبناه بأمر من أغسطس في عام ٥ م . وكان الامبراطور قد فوض أولهما بسلطات خاصة impcrium proconslare وقام بمهمة في الشرق في العام الأول ق . م . وقدم إلى مصر وهو في طريقه إلى سوريا . أما جرمانيكوس فقد فوضه الامبراطور تيبريوس في عام ١٨ م بسلطات مماثلة وبعث به في مهمة خاصة

إلى الشرق وقدم هو الأخر إلى مصر فى عام ١٩ م . وكلاهما انفصل عن أبيه بسبب مهمته ؛ جايوس قيصر عن أبيه أغسطس ، وجرمانيسكوس عن أبيه تيبريوس . ولـكن فى حين لم يكن جايوس قد تزوج حتى الوقت الذى سافر فيه إلى الشرق ، كان لجرمانيكوس أسرة كبيرة مكونة من عدد من الأبناء والبنات من بينهم (جايوس الذى سيخلف الامبراطور تيبريوس عـلى عرش الامبراطورية باسم الامبراطور جايوس أو كاليجولا) . وكانت زوجته أجر بيينا تصحبه فى رحلته تلك إلى الشرق وولدت له أثناءها ابنته ليفيلا . ويرجح تيرتر أن يكون جرمانيكوس هو الامبراطور المذكور فى النص سيما وأنه لم يذكر أنه افترق عن زوجته. ويدعم هذا الترجيح ما قاله المؤرخ تاكيتوس أن جرمانيـكوس عندما كان يعالج سكرات فى سوريا عتب الموت على الآلهة تخليها عنه وجعلته يفترق وهو فى هذه السن الغضة عن أبويه وأطفاله ووطنه (٢٢) .

وليست هذه هى المرة الأولى التى ذكرت فيها زيارة جرمانيكوس للإسكندرية ومصر التى تخللت عمله فى الشرق إذ تحدثت عنهـا مصادر البردى(٢٣) فضلا عن المصادر الأدبية(٢٤) .

تضمنت إحدى البرديات منشوراً ينوه فيه بالشعور الطيب الذى أبداه نحوه مواطنو الاسكندرية . ولـكنه يناشدهم إلا يهتفوا له بألقاب كالقاب الآلهة تثير عليه البغضاء ولا تليق إلا بأبيه (الامبراطور تيبريوس) المنقذ الحقيقى للجنس البشرى كافة ومسدى الخير له . . »

وتضمنت البردية منها منشورا آخر يعلن فيه « جرمانيكوس قيصر بن أغسطس (أى تيبريوس) حفيد أغسطس المؤله نائب القنصل » عدم إكراه الأهالى عـلى

تقديم المراكب والدواب ومنع اغتصاب المنازل لتكون تحت تصرفه هو ورفاقه أثناء رحلتهم فى مصر العليا(٢٥) .

وتضمنت بردية لندن ١٩١٢ إشارة للامبراطور كلوديوس إلى زيارة ابن أخيه جرمانيكوس للاسكندرية وكيف أنه خاطب مواطنى الإسكندرية بلغة صادقة كل الصدق .

أما البردية الجديدة ، بردية أوكسيرينخوس ، فانها تقدم شاهداً جديداً على ترحيب الاسكندريين بمقدم جرمانيكوس حتى أن مدير البلدية exgetês تقدم مستقبليه ليسلمه قرارات المدينة بالترحيب به عند أول وصوله إلى مدينتهم . والناشر محق فى ملاحظته أن جرمانيكوس لم يكن يتوقع حرارة هذا الاستقبال الحافل الذى قوبل به ، وأنه لم يكن مستعدا لمواجهته بحديث مناسب حتى أنه نسى نفسه ووقار منصبه فأفضى إلى جمهور الاسكندرية بحقيقة مشاعره وما يعتمل فى نفسه من تحسر على مفارقة روما حيث خلف أهله وأحبائه . ويقابل جرمانيكوس هذه الحفاوة بالثناء على المدنية ويردد أن ذلك راجع إلى الاسكندر البطل الذى أنشأها، وهى نغمة ترددت فى خطاب أغسطس لدى دخوله الاسكندر فى عام ٣٠ ق . م (٢٦). كما وأن رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين تضمنت الثناء على المدينة وماتكنه أسرته نحوها(٢٧) .

وقد أثارت زيارة جرمانيكوس لمصر مسألتين ، وأولهما مدى مخالفة جرمانيكوس لتعليمات أغسطس التى تحرم على أعضاء مجلس الشيوخ والشخصيات البارزة من طبقة السناتو المجىء إلى مصر بدون إذن مسبق من الامبراطور . والمسألة الثانية حق جرمانيكوس أن يصدر منشورات مع وجود الوالى الشرعى .

وقد بعث تيبريوس برسالة إلى مجلس الشيوخ يشكو فيها من أن جرمانيكوس خالف قواعد الامبراطور أغسطس بدخوله مصر بدون اذن منه . وواضح أن جرمانيكوس بوصفه بروقنصل ، نائب قنصل ، كان في عداد هيئة الشيوخ ان لم يكن بحكم مركزه عضوا في ذلك المجلس ، وبذلك كان لايحق له دخول مصر، ولعله اعتقد أن سلطته البروقنصلية الكبرى imperium pronsulare maius وهى سلطة تعلو سلطة حكام ولايات الشرق تعطيه الحق فى دخول مصر دون استئذان الامبراطور خاصة وأن جايوس قيصر وكان مزودا بنفس السلطة جاء إلى مصر وان كنا لانملك شاهدا على أن الامبراطور أغسطس اعترض على تلك الزيارة مثلما اعترض الامبراطور تيبريوس على زيارة جرمانيكوس . ثم ان جرمانيكوس أصدر المنشورين الذين أسلفنا الاشارة إليهما. حقيقة أنه كان مضطرا إلى اصدارهما. ولكن ذلك ما كان ليتم لولا أنه كان يعتقد أن سلطته تعلو سلطة حاكم مصر ، لأنه وهو ولى عهد الامبراطور له نفس السلطات العليا التى تحجب سلطة الوالى فى حالة مجىء الامبراطور بنفسه إلى مصر . ومن ناحية أخرى ، لانعتقد أن جرمانيكوس كان يجهل مشاعر الامبراطور نحوه . ولو كان يعلم أن زيارته لمصر ستثير ثائرته لما أقدم على المجىء إليهـا . والذى أشفق منه بالفعل هو أن الألقاب الإلهية التى خلعها عليه مواطنو الاسكندرية قد تتسبب فى حقد الامبراطور عليه ولذلك طالبهم بالكف عن مناداته بها فأصدر منشوره الذى أفهمهم فيه أن ذلك من حق الامبراطور وحده(٢٨). ولذلك لايبدو معقولا أن يتحدى جرمانيكوس الامبراطور ويقدم على زيارة مصر مهما كان حبه للاسكندرية ورغبته فى زيارة آثارها فانتهز فرصته استطاعته قضاء فترة إستجمام تتخلل عمله فى أرمينيا ، فتذرع ، كما قال تاكيتوس ، بحجة الاهتمام بالولاية ، أو انقاذها من مجاعـة ولكن غرضه الحقيقى كان التعرف إلى تاريخ مصر القديمة وآثارها . وقد يوحى بهذا

الاهتمام ماذكره تاكيتوس من تفاصيل كثيرة تتعلق بوصول جرمانيسكوس إلى طيبة وكيف شاهد على صروحها الضخمة الكتابة باللغة المصرية التي تحكي أمجاد الماضي، وكيف أنه طلب أن يترجم له ما كتب بهذه اللغة . وسمع جرمانيسكوس النغم الموسيقي الذي كان يتصاعد من تمثال ممنون عندما تمسه أشعة الشمس وابنهر بمنظر الأهرام الضخمة التي لها ضخامة الجبال .

وثمة ملاحظات تتعلق ببعض كلمات وردت في النص؛ من بينها كلمة القرارات Psephismata وقد تكررت في النص الذي أسلفنا الحديث عنه والمكتوب على الوجه الثاني من البردية، والكلمات التي قالها جرمانيسكوس وهي أن قرارات التكريم قد تصدر عن مجلس يضم عدداً قليلا من الرجال . هل يمكن أن نقول ان جرمانيسكوس يقصد مجلس الجيروسيا الاسكندري الذي أسلفنا الاشارة إليه ؟ . وجاءت في البردية أيضا كلمة eparchia وهي تقابل الكلمة اللاتينية provincia فهل اعتبر جرمانيسكوس مصر واحدة من الولايات التي كان عليه الاهتمام بتنظيمها وهي بذلك ولاية عادية ؟ واضح أن الامبراطور بشكواه التي قدمها إلى مجلس الشيوخ رفض وجهة نظر جرمانيسكوس وأوضح أن جرمانيسكوس تجاوز حدود سلطته . ومن ناحية أخرى لانظن أن جرمانيسكوس كان من الغفلة بحيث أنه جهل حقيقة وضع مصر بالنسبة للامبراطورية الرومانية فأقدم بكل بساطة على دخول مصر ضارباً عرض الحائط بالقيود التي كان الامبراطور أغسطس قد وضعها على دخولها لرجال من طبقته وفي مكانته . ويبقى التفسير المحتمل وهو أن ظن أنه بوصفه ولي العهد وابن الامبراطور بالتبني لايرتكب مخالفة للقواعد التي وضعت لحكم مصر إذا دخلها دون إذن من الامبراطور .

وينبه الناشر إلى الشبه القائم بين هذا النص وبين النص الذي تضمنته بردية P. Fouad 8 والخاص بزيارة الامبراطور فسباسيانوس (٦٩ — ٧٩ م .)

للاسكندرية والاستقبال الحافل الذى نظمه لاستقباله حاكم الاسكندرية ومصر تيبريوس يوليوس اسكندر فى حلبة سباق الخيل hippodromos . ونعرف من المؤرخ اليهودى يوسف أن جند الفرق الرومانية فى مصر وشعب الاسكندرية كانوا يتوقون لإظهار مشاعرهم نحو الامبراطور . وأن الحاكم جعلهم يقسمون له يمين الولاء . أما بردية P. Fouad 8 فانهـا تسجل الهتافات التى تعالت بحياة « فسباسيان المنقذ والمصلح والمحسن مولانا قيصر سيرابيس ابن آمون قيصر المؤله » (٢٩) .

وفى رأى الأستاذ تيرنر أن الوصف التفصيلى لزيارة الشخصيات الكبيرة للاسكندرية مثل أعضاء البيت الامبراطورى كان موضوعاً للنشرات السياسية . هذه النشرات تعرف باسم em phanismoi بمعنى ظهور تلك الشخصيات أو تجليها أمام الشعب . وقد استعمل جرمانيكوس هذه الكلمة بهذا المعنى عندما هدد شعب الاسكندرية أنه لن يظهر بينهم كثيراً إذا أصروا على مناداته بألقاب التأليه (٣٠) .

وواضح اذن أن نص بردية أوكسير ينخوس المثبت على وجهها الأول إنما هو تسجيل لاستقبال السكندريين لجرمانيكوس عند أول نزوله بالاسكندرية . وأعرب جرمانيكوس عن شكره وامتنانه بأن فتح صوامع الغلال ووزعها على المواطنين وقد يكون لهذا التصرف صلة بالمجاعة التى تحدث عنها تاكيتوس أو قد لايكون . المهم أن حماس السكندريين تجاوز حدوده حتى اضطر جرمانيكوس إلى اصدار منشوره الذى طلب فيه اليهم الاعتدال فى اظهار عواطفهم والتوقف عن تلقيبه بألقاب الآلهه .

وأخيراً ما الذى جمع بين هذا النص الخاص باستقبال جرمانيكوس وبين النص الخاص بالحواريين وفد الاسكندرية والامبراطور أغسطس المثبت على الوجه الثانى لبردية أوكسيرينخوس ؟

المعقول أن مواطنا من الاسكندرية اطلع على سجلات المدينة ونقل عنها النصين وسجلهما على وجهى البردية ، وحملها إلى أوكسيرينخوس حيث كانت تتداول على هيئة منشور سياسى .

الحواشى

١ — The Oxyrhynchus Papyri, Part XXV, Lond. 1959, No. 2435, p. 103 f f.

٢ — عندما دخل أوكتافيانوس (أغسطس) الاسكندرية فى أول أغسطس عام ٣٠ ق.م. كان فى صحبته أستاذه آريوس Areius الفيلسوف الاسكندرى. وأعلن الامبراطور فى خطاب ألقاه باللغة الاغريقية أنه يعفو عن الاسكندرية لثلاثة أسباب وأولها لأن منشىء المدينة هو الاسكندر الأكبر، وثانيها لجمالها الفائق وضخامتها، وثالثها من أجل صديقه آريوس. راجع . Dio Cassius Ll, I6,A
G. W. Bowersock, Augustus & the Greek World, Oxford, 1962, p. 33.

٣ — عن زيارة جرمانيكوس للاسكندرية ومصر فى عام ١٩ م . راجع :
عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ص ٧٠ — ٨٠ .

٤ — كان تيبريوس وابنه دروسوس ، وابن أخيه جرمانيكوس الأعضاء الدائمين فى مجلس الامبراطور Consilium وكانوا فى الوقت نفسه أكثر رجال روما قوة وتأثيرا. وقد احتفظ أغسطس لنفسه بحق ادخال أعضاء فى المجلس يطمئن إلى مساندتهم له وذلك ليحصل من المجلس على القرارات التى يريدها إذ أن هذا المجلس لم يعد مجلسا استشاريا ، بل اكتسبت قراراته القوة القانونية التى كانت لقرارات مجلس الشيوخ Senatus consulta أنظر .

Dio Cassius, lvi, 28, 2—3; J. A. Crook, Consilium Principis, Cambridge, 1955, p. ls No. 2, 3.

وكان أغسطس قد بلغ من العمر ٧٤ عاما عندما أعاد تكوين هذ المجلس في عام ١٢ م أو ١٣ م . بحيث تتضمن عضويته هؤلاء الثلاثة من البيت الامبراطوري والقناصل وأعضاء من الشيوخ ليخفف عن نفسه عبء العمل وهو في هذه السن المتقدمة . ويمكننا أن نتعرف ، بفضل النص الذى تضمنه الوجه الثانى من بردية أوكسيرينخوس ، على القنصل فاليريوس مسالينوس كورفيوس الذى كان صديقاً لتيبريوس والثانى هو ماركوس أفيديوس أورجالانيوس الذى كانت أورجولانيا Urgulania أخته أو ابنته صديقة مقربة من ليفيا فضلا عن أن الأمبراطور كلوديوس تزوج من أبنتة . ويرجح أن أغسطس بضم هذين الشخصين إنما كان يريد التمهيد لنقل السلطة إلى تيبريوس P. Oxy. 43. recto & pp. 104, 111

٥ ـــ يرى الأستاذ تيرنر أن الامبراطور أعاد تشكيل المجلس فى عام ١٢ م وذلك فى تعليقة على هذه البردية ص ١٠٤ فى حين أن كروك J, A. Crook فى المرجع المذكور فى الحاشية السابقة ص ١٤ يذكر أن التشكيل تم فى عام ١٣ م وإذا أخذنا بالتاريخ الثانى فإن تغيب جرمانيكوس عن حضور الجلسة يكون أمراً طبيعياً لأن المجلس تشكل أثناء غيابه فى بلاد الغال . وعلى أى حال فإن موعد مجيء وفد الاسكندرية للاجتماع بالامبراطور ومجلسه فى شكله الجديد ، ان لم يكن قد رتب من قبل ، كان موعداً مناسبا دون شك .

٦ — P. Oxy. 1089=Musurillo,P. Acta. II = C. P. Jud. 124,

مصطفى كمال عبد العليم ، اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٤٨ وحاشية ٤٤ .

P. bibl. univ. Ciss 46 = Musurillo, p. Acta. — ٧
III = C. p. Jud. 155.

عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ص ٩٣ ومايليها .

٨ — الحاشية السابقة؛

H. E. Masurillo The Acts of the Pagan Martyrs (Acta Alexandrinorum), Oxford, 1954, p. 110.

P. Oxy. Part XXV p. 105 — ٩

A. E. R. Boak, A History of Rome to 565 — ١٠
A. D., 3 rd. ed. N. york, 1947, p. 286; P. Oxy; Part XXX. p. 105.

ونحن نميل إلى رأى موميليانو وذلك بمقارنة ماورد فى بردية لندن ١٩١٢
بخصوص تمثال Pax Augusta Claudiana

L. A. Yehya, On lhe question of the — ١٢
Qlexandrian Senate in Ptolemaic Egyprt. Bul. of the Fac. of Arts, Alexandria university, Vol. II, 1958, p. 77 ff.,

بالنسبة للرأى القائل بأن بطلميوس يوارجيتيس الثانى هو الذى أقدم على إلغاء
مجلس الشورى راجع .

C. P. Jud. Vol I, P, 24; H. I. Bell The Acts, of The Alexandrians, J. J. P. lv, 1950, b. 21

P. S. I. 1160 = Masurillo I. = C P Jud. 150 — ١٣

والبردية ترجمة طيبة باللغة العربية اعتمدت عليها ، راجع عبد اللطيف أحمد
على ، المرجع السابق ص ٨٤ هامش (١٢١ قارن P, Oxy .2339 .

١٤ — V. Tcherikover A. Fuks. Corpus Papyrorum Judaicarum Vol II Harvard university Press, 1960 pp. 22–29.

١٥ — المرجع السابق ، راجع بصفة خاصة تعليق الناشرين على السطر ٢١ ، السطور ٢١ — ٢٣ من النص الذى تضمنته بردية PSI, 1160

١٦ — P. Oxy., part XXV, p 107.

١٧ — P. Lond. 1912

راجع عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق ص ١٠٣ ومايليها وأنظر أيضا .
L. A. Yehya, op. cit., p. 78–82

١٨ — راجع مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ص ٢٠٣ ومايليها .

١٩ — Jos. Ant. 18, 160, 259; 19, 276, 20 100 Ct. C. P. Jud, II. 197 f.

٢٠ — Srrabo, ap. Jos. Ant. XIV, 117

مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢.

٢١ — p, Oxy. part XXV, p. 105.

٢٢ — Tacirus, Ann., 11, 69.

٢٣ — SB 3924 = Sel. Pap, II 211.

راجع ترجمة البردية التى تضمنت منشورين أصدرهما جرمانيكوس عند ، عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ص ٧٨ ومايليها ، وراجع أيضا
, P, Lond, 1912 - W. Chrest .413

٢٤ — Suetonius, Tiberius, L 11, 2; Tacitus, Ann. II 59–61

S B 3924 = Sel. Pap. II 211 — ٢٥

P. Oxy. part XXV, p. 110; Dio Cassius, — ٢٦
LI .16 .3-5

P. Lond. 1912 — ٢٧

٢٨ — عن تفاصيل زيارة جرمانيكوس للاسكندرية ومصر راجع عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق . ص ٧٠ ومايليها .

٢٩ — عبد اللطيف أحمد المرجع السابق ص ١٤٣ .

C P Jud. II, pap. No. 418 a = g. Fuoad.

راجع تعليق الناشرين وشرحهما p.190 f.

P. Oxy. part XXV, p. 106 — ٣٠

مصطفى كمال عبد العليم
كلية الآداب — جامعة عين شمس